المرأة في التراث الشعبي بمنطقة توات

Women in the folklore of the Toat region

د.جعفري عز الدين، جامعة تلمسان- الجزائر

ملخص: لطالما كانت المرأة الأساس الذي تقوم عليه المجتمعات، وإن حاول الجنس الآخر التنكر لذلك بكبتها واحتقارها والانتقاص من شأنها، وهذا قبل أن يعيد لها الإسلام مكانتها التي فقدتها منذ أزمنة طويلة، وخير ما يؤكد ذلك ما كانت تتعرض له أيام الجاهلية من الوأد وهي في بداية حياتها، والتهميش في قمة عطائها فلم يكن يؤخذ برأيها إلا عند القليل ممن عرف لها الدور والفضل كغيرها من أفراد المجتمع، ولكن حالها تغير مع مجيء الإسلام الذي أعاد لها الاعتبار، وحرم ظلمها،والاحتقار من شأنها، فجاءت سور في القرآن تحمل اسمها ولم يكن هذا الفخر للرجل ومن ذلك: " سورة مريم"، "سورة النساء"، فبعد أن عادت لها تلك المكانة سارت بجوار ابنها الطفل، وأبيها الرجل، وزوجها الصديق،وأخوها وخالها وعمها الرجل، تخوض عُبَابَ الحياة، وتشيد سرحها، وتربي أبناءها، ولهذا كان لها فضل في صون جيل المستقبل وتنشئته التنشئة الحسنة التي يحفظ بها كيانه، ويبني بها مجتمعه،ولهذا استلهمت الشعراء فكانت موضوعا لهم،والحكماء فكانت مضرب لأمثالهم وحكمهم.

الكلمات المفتاحية: المرأة ـ التراث ـ الشعبي ـ الأمثال ـ الحكم.

Le women Has always been the foundation upon of the communities, and if the opposite sex tried to shun it, to hid her, to contempt and detract from that, this is before the Islam was returning her place which lost since a long times and the infanticide is the best thing confirms what has been subjected to days of ignorance and marginalization at the top of its bid was not taken its opinion only when a few of those who knew her role as the other members of the community, but its fortunes changed with the advent of Islam who returned her mind, and the forbade of injustice, and contempt of her, in the Qur'an there is a many of Sorre bearing her name this was not so for the man: "Maryam," "Nissa". After she returned her that position she goes next to her child, her father, her friend, her brother, her uncle, her uncle's, she ford her life, construct her realization, breeding their children, this was give her the favor of the of the future generation maintenance and she was upbringing of good upbringing, which saves his entity, and he builds them society, and that inspired the poets as subject to them, and she become in the proverb and the judgment of the wisemen.

Ke words:Women, education, popular, proverbs, wise.

مقدمة:

أعطت الأمم والشعوب عناية بالغة للتراث باعتباره مخلدا لتجاربها، حافظ لذاكرتها من الزوال لتتوارثها الأجيال جيل عن جيل، فيمارسونه في أفراحهم، وأقراحهم، ومناسباتهم الدينية والدنيوية، وكانت مواضيع التراث متعلقة بأشياء عديدة ومختلفة، فمنها ماله علاقة بالرجل، أو المرأة، أو الطفل، أو البنت، ويظهر ذلك بشكل جلي في: أكلهم ولباسهم وإيقاعاتهم، وألعابهم، وأفراحهم، وأقراحهم.

وبما أن المرأة هي الكائن الأساسي في المجتمع باعتبارها، أم، وبنت، وأخت، وزوجة، وخالة، وعمة...أعط لها المجتمع عناية بالغة، ويظهر ذلك في أقوالهم التي يمتدحونها فيها كالشعر الشعبي، والحكمة، والمثل، أو يزمونها باعتبارها في نظر البعض مصدر للشر.

وسنحاول في هذا المقام أن نتحدث عن حضور المرأة في التراث الشعبي بمنطقة توات، واقتصرنا على المثل الشعبي، باعتباره صورة أظهرت المرأة في عفويتها فامتدحتها أحيانا، وتهكمت منها أحيانا أخرى، وجعلتها مصدر للحكمة أو الخطر.

والإشكالية التي تطرح نفسها هنا: كيف يمكننا اعتبار المثل الشعبي مصدرا للتعرف على المرأة في منطقة توات؟، ويتفرع عن هذه الإشكالية عدد من التساؤلات:

-أين تقع منطقة توات؟

-ما هو تعريف المثل الشعبي؟

-ما هي الأمثال الشعبية التي ذكرت المرأة في منطقة توات؟ وما هي دلالتها؟.

وللإجابة على هذه الإشكالية اعتمدنا خطة في دراستنا ابتدأناها بمقدمة، وعدة عناصر هي: التعريف بمنطقة توات، التعريف بالمثل الشعبي، ذكر بعض النماذج من المثل الشعبي الذي ذكر المرأة بمنطقة توات، وتوضيح دلالتها، ثم خرجنا من دراستنا بعدد من التوصيات، وفي الأخير ختمنا البحث بخاتمة.

1.التعريف بمنطقة توات:

منطقة توات هي إحدى مناطق الإقليم التواتي الثلاث(ڤورارة، توات، تيدكلت)، والذي يقع ضمن الحدود السياسية لدولة الجزائر، وأصبح يسمى اليوم ولاية أدرار في التقسيم الإداري الجديد للدولة بعد الاستقلال، ونظرا للمكانة الكبيرة التي كانت تحظى بها المنطقة مقارنة بجيرانها، أطلق إسم الإقليم عليها، وهي تقع مابين نهايات الهضبة العليا للڤرارة التي تشكل الحافة الشرقية لودي مسعود، والحافة المقابلة له المسماة العرق الغربي ، فتوات العليا تبدأ من أعالي مقاطعة بودة في النقطة التي ينحرف فيها واد مسعود باتجاه الغرب فيأخذ اتجاهه الأول من الشمال إلى الجنوب ليصل إلى رڤان، موقعه بين هضبة تادميت شرقا، وعرق الرمل غربا، ومن الشمال منطقة ڤورارة، ومن الجنوب منطقة تيدكلت، وتضم المنطقة كثير من القصور، وهو يتوسط الأوطان التالية: المغرب الأوسط والأقصى وجميع بلاد السودان(يحي بوعزيز، دس، ص9).

ولأهمية هذه المنطقة التاريخية ورد ذكرها في كتب المؤرخين والرحالة المتقدمين مثل ابن خلدون وبن بطوطة والعياشي وغيرهم، ومن ذلك:

ابن بطوطة(مصطفى عفت، 2010، ص15): في كتابه تحفة النظار فيقول: "...**ورفعت زاد سبعين ليلة إذ لا يوجد الطعام بين تكدى وتوات... ثم وصلنا إلى بودة وأرضها رمل وسباخ وتمرها كثير لكنه ليس بطيب لكن أهلها يفضلونه على تمر سجلماسة، ولا زرع بها ولا سمن ولا زيت...وأقمنا في بودة أياما**"(ابن بطوطة، 2001، ص406).

إشارة ابن بطوطة هذه هي أقدم ذكر صريح لأرض توات باسمها في كتب المؤرخين، وهذا خلال رحلته التي زار فيها الإقليم بتاريخ 754ه/1353م، ولم يذكرها قبله أحد من الرحالة والجغرافيين باسمها الذي هي عليه اليوم حسب رأي بعض من الباحثين(عبد الله حمادي الإدريسي، 2011، ص266).

أبو سالم العياشي في كتابه ماء الموائد يشير إليها بقوله: "**ودخلنا أول عمالة توات وهي قرى تسابيت وزرنا بأول قرية منها قرية الولي الصالح سيدي محمد بن الصالح المعروف بعريان الرأس**"(أبوسالم العياشي، 2006، ص79)، وكان ذلك خلال عبوره بالمنطقة في رحلته إلى الحجاز سنة1669م. وللخدمات الكبيرة التي كان يجدها المسافر في أرض توات كانخفاض الأثمان، وحسن الضيافة، وتوفر العلف للرواحل والدواب، ووفرة الإبل التي كانت تعرض في أسواق المنطقة جعلته يمكثون بالمنطقة أيام قبل المغادرة، ورحّالتنا العياشي مكث ستة أيام بالمنطقة، مما رسخ في ذاكرته تلك الأحداث التي صادفته حين وجوده بها.

ابن خلدون(محمد أمين فرشوخ، 1989، ص68) **في" كتابه العبر"** فيقول: "**وفواكه بلاد السودان تأتي من توات وتيكورارين...**"(عبد الرحمن بن خلدون، 2000، ص730).

وكلام ابن خلدون هذا يؤكد مركز توات التجاري،فهي نقطة استقبال وتصدير للمنتجات باتجاه الشمال والجنوب، فاستقبلت فواكه ومنتجات الشمال إضافة إلى منتجاتها المحلية، وعملت على نقلها إلى بلاد السودان التي كانت في ذلك الوقت من أغنى بلدان الدنيا بمنتجاتها النفيسة والتي يأتي الذهب على رأسها، وبهذا كانت المنطقة عبارة عن ميناء صحراوي لتنشيط الحركة التجارية بين بلدان إفريقيا، وربما لولا تلك الأهمية لما كان للمنطقة أن تجد مكان لها في تاريخ ابن خلدون.

2.تعريف المثل الشعبي:

قال أبو عبيدة: "الأمثال حكمة العرب في الجاهلية والإسلام بها كانت تعارض كلامها فتبلغ ما حاولت من حاجتها في المنطق بكناية غير تصريح فيجتمع لها بذلك ثلاث خلال: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى،وحسن التشبيه(عبد المنعم سيد عبد العالي، 1968).

وقال ابن عبد ربه الأندلسي: "الأمثال هي وشي الكلام، وجوهر اللفظ وحلي المعاني والتي تخيرتها العرب، وقدمتها العجم،ونطق بها في كل زمان، وعلى كل لسان، فهي أبقى من الشعر، وأشرف من الخطابة، لم يسر شيء مسيرها، ولا عم عمومها، حتى قيل أسْيَر من مثل، ومن ذلك قول أحد الشعراء: ما أنت إلا مثل سائر يعرفه الجاهل والخابر.

وأضاف الميداني عن عبد الله بن المقفع تعريف المثل: " إذا جعل الكلام مثلا كان أوضح للمنطق، وأنق للسمع، وأوسع لشعوب الحديث(الميداني، دس، ص14).

ونقل السيوطي عن المرزوقي قوله في شرح الفصيح: " المثل جملة من القول مقتضبة من أصلها مرسلة بذاتها فتتسم بالقبول، وتشتهر بالتداول، فتنتقل عما وردت فيه إلى كل ما يصح

قصده بها من غير تغيير يلحقها في لفظها، وعما يوجه الظاهر إلى أشباه المعاني فلذلك تضرب، وإن جهلت أسبابها التي أخرجت عليها"(جلال الدين السيوطي، دس، ص487).

والمرزوقي يعتبر المثل مقطعا لفظيا محدودا يتميز بالذيوع والانتشار بين الناس، والمثل له مورد ورد فيه، وهو الحادثة الأولى التي قيل فيها أي مصدره، ومضرب وهو الحالة أو الحادثة المشابهة للمورد دون تغيير في التركيب اللغوي، وذلك كما روي المثل: "الصفة ضيعتِ اللبن" بكسر التاء للمؤنث والمذكر سويا، ولو خالف القواعد المألوفة في اللغة، وفي هذا يقول الزجاجي: "الأمثال قد تخرج عن القياس فتحكى كما سمعت، ولا يطرد فيها القياس فتخرج عن طريقة الأمثال(مصطفى براندو، 2001.2002، ص18).

كما أن هناك تعاريف أخرى أوردها المحدثين، وخاصة وأن كل مجتمع اهتمّ بجمع أمثاله، وصنفها، ودرسها، فمثلاً نجد في مصر أحمد تيمور في كتابه" الأمثال العامية"، وأحمد أمين في كتابه "قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية"، والسيدة حسين راغب في كتابها "حدائق الأمثال العامية"، وفي الجزائر نجد عبد المالك مرتاض في كتابه " الأمثال الشعبية"، وقادة بورتان في كتابه" الأمثال الشعبية"، فأغلب هؤلاء حاول تقد يم تعاريف للمثل الشعبي عند تقديمهم لكتبهم، ومن ذلك ما ذكره الأستاذ الشيخ محمد رضا الشيبي في تقديمه لكتابه" الأمثال البغدادية" للشيخ جلال الحنفي يقول الأستاذ محمد رضا: "الأمثال في كل قوم خلاصة تجاربهم ومحصول خبرتهم، وهي أقوال تدل على إصابة المحزوف وتطبيق المفصل هذا من ناحية المبنى فإن المثل الشرود يتميز عن غيره من الكلام بالإيجاز ولطف الكناية وجمال البلاغة، والأمثال ضرب من التعبير عما تزخر به النفس من علم وخبرة وحقائق واقعية بعيدة البعد كله عن الوهم والخيال، ومن هنا تتميز الأمثال عن الأقاويل الشعرية"(مصطفى براندو، 2001-2002، ص18).

ويمكننا القول في الأخير أن للمثل الشعبي خصائص تميزه عن غيره من الفنون الأدبية الأخرى ومن ذلك:

-يعد المثل عصارة التجارب البشرية، التي تنتج عن عصارة من الخبرة والمهارة.

-يمتاز المثل بالاختصار في القول والتعمق في المعنى.

-يتصف المثل بجميل البلاغة وموجز العبارة.

وأوجز ذلك أحمد أمين بقوله: "الأمثال نوع من أنواع الأدب يمتاز بإيجاز اللفظ، وحسن المعنى ولطف التشبيه، وجودة الكناية، ولا تكاد تخلو منها أمة من الأمم، ومزية الأمثال أنها تنبع من كل طبقات الشعب وليست في ذلك كالشعر والنثر الفني، فإنهما لا ينبعان إلا من الطبقة الأرستقراطية في الأدب، وأمثال كل أمة مصدر هام جداً للمؤرخ الأخلاقي والاجتماعي يستطيع كل منهما أن يعرف كثيرا من أخلاق الأمة وعاداتها وعقليتها ونظراتها إلى الحياة لأن الأمثال عادة وليدة البيئة التي نشأت عنها".

ويضيف رشدي صالح فيعرف المثل بأنه: " هو ذو أسلوب بلاغي قصير ذائع بالرواية الشفاهية المبين لقاعدة الذوق أو السلوك أو الرأي الشعبي ولا ضرورة لأن تكون عباراته تامة

التركيب بحيث يمكن أن نطوي في رحابه التشبيهات والاستعارات والكنايات التقليدية"(أحمد رشدي صالح، 1961، ص06).

والأمثال الشعبية لا تقتصر على جانب واحد من الحياة وإنما هي شاملة لها بالكامل، قبيحها وحسنها، فيشير لذلك الأستاذ عبد الملك مرتاض بقوله:

"ولما كانت الأمثال من الفنون الأدبية الشعبية الحية تعلقت بكل شيء، وتناولت كل شيء يتصل بالحياة،فنراها تعالج الأخلاق والحكمة، والتربية، والتوجيه، والسخرية والتهكم، والنكتة والفكاهة، والعظة والعبرة، والحب، والاضطراب، والاطمئنان، والخوف والأمن، والسعادة، والشقاء، والخصب والجدب، والحرب والسلم، والحياة والموت، فكل ما يتصل بالحياة ويحوم حولها، وينبع منها أو يصب فيها مجال فسيح لفن المثل"(عبد الملك مرتاض، 1975، ص34).

وكثرة الأمثال في الأمة هو دليل على قوة تجربتها وغزارة حكمتها، فيضيف الأستاذ عبد الملك مرتاض في هذا الشأن:

"والأمة إذا كثرت أمثالها دل ذلك على ذكائها وحيويتها، تم على تأثرها بحوادث الحياة وانفعالها معاً: فإذا هي توجز الملاحم المهولة والقصص الطويلة، والاضطرابات الطاحنة، والخطوب السوداء في عبارة قصيرة جامعة(عبد الملك مرتاض، 1975، ص34).

بعض الأمثال التي اتخذت من المرأة مضرب لها:هناك عدد كبير من الأمثال التي أشارت للمرأة وعبرة عنها، وهذا من باب المدح أحيانا، أو من باب الذم أحياناً أخرى، فتعتبر المرأة في المخيلة الشعبية بمنطقة توات رمزا للمكر والدهاء، إذا أهينت، ورمزاً للعقل والرزانة والحزم إذا أكرمت،وعلى العموم تحظى المرأة بمكانة عظيمة القدر في المجتمع التواتي لأنها هي المربية لأبنائها، والقائمة على شؤونهم وشؤون زوجها وبيتها، ولهذا لا يمكن إغفال دورها في الأسرة، أو في المجتمع حتى وإن جاءت في حقها العديد من الأمثال التي تنقص من قدرها وتستهين بها، كما أن الأمثال التي أبرزت دورها لا تستوفيها حقها.

3.نماذج عن حضور المرأة في المثل الشعبي:

-المرأة تعد هي المدبرة لشؤون البيت، فهي المقتصدة في أموال زوجها، وإن كان هو من يكدح في جمع ثروته، فتستطيع هي بتدبيرها أن تصونه، وتصون ماله، وبتبذيرها، أن تهلكه وتهلك ماله، فهي من يعطي الفخر للزوج بجودها، والذم له ببخلها، وبهذا جعلها البعض مضرب للمثل القائل:

هو يطلب وامراتو تتصدق : و نظيره عند العرب قولهم : **أبي يغزو وأمي تُحَدّث.**

-هناك مثل أخر يشير إلى القوة المؤثرة في سلوك المرأة، فهي حكيمة مدبرة إذا أهينت، وماكرة شريرة إذا أهينت، فلهذا يجب علينا إذا أردنا أن نستفيد منها أن نعاملها بالاحترام والتبجيل، وهذا لأنها عيفة عن الرجل قوتها في دهائها وعقله، توظفه للدفاع عن نفسها، والتعبير عن مشاعرها، ولهذا حثت الأمثال إلى وجوب معاملة المرأة معاملة حسنة، ومن ذلك قولهم: **النسا إلى حبو يدبروا وإلى كرهوا يخبروا.**

وهي حكمة في أهمية الحب والبغض وقيمتهما في حياة المرأة، فهي إذا أحبت دبرت أمورها كيف ما كانت بروي وحكمة، وبالمقابل إذا كرهت فإنها لا تستطيع أن تخفي شعورها لأن كل شيئ فيه يخبر بذلك.

-هناك حكمة أخرى تفتخر بحكمة المرأة ورجاحة عقلها، حتى البعض جعلها تسبق المكتوب، فالمرأة قد تفيد بنصائحها وحلولها الكثير من المشكلات التي يظن البعض بأنه ليس هناك مخرج منها، ومما جاء في تلك الحكمة قولهم: **فال النسا غلب الكتوب.**

إذا كانت تلك الحكم والأمثال قد اعترفت بفضل المرأة، ورجاحة عقلها، وأنها شقيقة الرجل، فهناك حكم وأمثال أخرى عبرة عن مكر المرأة، وضعف شأنها مقارنة مع الرجل، وهذا الأمثال لا نوردها للتقليل من شأنها ولكن من باب الحفاظ على التراث الشعبي، ونقلها بحسنه، وقبيحه، ومن ذلك قولهم.

-مما يعاب على المرأة أنها ثقيلة في إعداد مشاغلها على خلاف الرجال الذي تكون مشاغله خفيفة، فهو يحرص على السرعة في إعدادها أحينا أكثر من حرصه على الإتقان فيها، في حين أن المرأة هي على خلاف ذلك نجدها تتكلف وتثقل عند قيامها بمشغلها فهي حريصة على الإتقان فيها، والإحاطة بها من كل الجوانب، ويظهر ذلك بشكل واضح عند مغادرة العروس بيتهم يوم زفافها، ولهذا صار أهل المنطقة يضربون مثل في كل من يتأخر في مواعيده، ومشاغله بالعروس التي تتأخر في الذهاب لبيتها يوم زفافها، ومن ذلك قولهم: **واش جا يخرج العروس من دار أباها.**

ويضرب للتباطؤ في الأمور. ذالك أن العادة جرت في خروج العروس من بيت أبيها في يوم زفافها ألا يكون إلا بعد وقت طويل من الوداع والعناق مع الأهل والأحباب.

-إذا كان الله قد منح الرجل القوة ليقوم بمشاغله، ويحمي أسرته، فإنه تعالى أكرم المرأة بعقل تدبر به شؤونها، ورقة في طبعها تعينها في منح الحنان لأبنائها، ولهذا هي بعيدة عن الخشونة، والقوة، وهذا الضعف الذي تمتاز به جعل بعض أهل المنطقة، يسخرون من الذي يتكلف أمر لا يطيقه، وعجز عنه، فإذا عجز عنها الأقوياء فكيف يقدر عليه من هو ضعيف في حاله، فيشبهونه بالمرأة الضعيفة، ومن ذلك قولهم: **واش دارو الدحادحة محسى عيشة ورابحة.**

-وهناك مثل أخر يضرب في الشخص الذي يتأخر في إعداد أموره خشية من الخسارة، وخوف من العاقبة، فلا يقبل على أموره إلا بعد فوات الأوان، وضياع الفرصة، فهو شبيه بالمرأة العمياء التي تأخرت في أمره، وبعد أن عاد لها بصرها واستعدت لقضاء حاجتها وجدت الليل قد حل، وأرخى سدوله، وبهذا تفوته الأمور، بتباطئه وتأخره، ومما جاء فيه: **انهار اللي تحزمت العمشة لـڤـات الحال مشى.**

-وهناك حكمة أخرى تدعو إلى حسن التعامل مع النساء، والطريقة في ذلك، فإذا صدر أمر منهن يدعو إلى العقوبة، فإنه من الأحسن توخي الحذر في معاملتهن، وأحسن من يدرك يذلك هي المرأة لأنها تعرف ما يدور في ذهن المرأة غيرها والرجل لا يدرك ذلك ربما، وإذا استعمل العصا والضرب في تأديبها، فإنه قد يفسد ما حاول إصلاحه، ويصعب من القضية، ومما جاء فيها: **النسا تنبط بالنسا ما هو بالعصى.**

-وهناك مثل أخر يضرب لمن فعل خير لغيره، ولم يكتفي بذلك و طلب الغير منه إن يفعل فوق طاقته، وهو في مكانه لا يبذل مجهوداً، ففاعل الخير هنا يعمل فوق مجهوده وطاقته، ومع هذا يجبر على فعل واجبه وواجب غيره، فاتخذ أهل المنطقة من الرجل الذي يزوج ابنته لشخص أخر ويكري عليه ليوصله له دون أن يقوم الزوج بأي عمل مقابل ذلك مضرب لذلك، ومما جاء في هذا المثل: **نعطي بنتي ونكري عليها.**

-وهناك حكمة أخرى تحدد سن بلوغ الرجل، وتحمله للمسؤولية على أفعاله، وذلك بعد أن يصوم عامين، والمرأة هي الأخرى كذلك بعد صومين، وهذا الحكمة تضرب في الإنقاص من شأن الرجل والمرأة اللذان يصدر منهما عمل سيء بعد هذا المرحلة من العمر، وهي حكمة في أن الرجل تكتمل رجولته الأولية بعد صيامه الثاني أما المرأة بعد خلالين والخلال بمثابة مرحلة الصيام عند الرجل، ومما جاء في تلك الحكمة قولهم: **لا راجل بعد صومين ، ولا امراة بعد خلالين.**

-وهناك مثل أخر يضرب في الرجل الذي يكون له زاد رديء ليست له قيمة، فهو شبيه بالمرأة التي يكون متاعها قليل ورديء، ومما جاء فيه قولهم: **قش بختة.**

-هناك مثل أخر يضرب في توضيح قيمة العقل بالنسبة للمرأة، فهو عنصر القوة فيها، أمام ضعفه الجسدي، فإذا فقدته فقدت عنصر الحفاظ على بقائها، وقيمتها، ويضرب لتوضيح فائدة البصل في تحضير مختلف الأكلات فهو عنصر لا يمكن الاستغناء عنه، فكما لا تستطيع المرأة أن تستغني عن عقلها أمام ضعفها، فكذلك القدر لا ستتغني عن البصل في الطبخ، ومما جاء فيه قولهم: **القدرة بلا بصل كيف المراة بلا عقل**

-وهناك مثل أخر يضرب في قيمة السترة للرجل والمرأة، فهو ضروري لهما، بحيث لا يمكن الاستغناء عنهما، فالكفن ضروري لتستر الرجل بعد الوفاة، واللحاف ضروري للمرأة عند سترتها ولا يمكنها الاستغناء عنه، ومما جاء فيه قولهم: **الراجل بلا كفن كيف المراة بلا حفل**.

-تعد المرأة هي المقتصدة في بيت زوجها، تدبر ماله وتنفقه عليه وعلى عياله، وإن كان هو من يكدح في الحصول عليه، ولهذا أعاب أهل المنطقة على الرجل البخيل الذي لا يرضى بما قسم الله، فهو يكدح وامرأته تنال الأجر والثواب بإكرامها للضياف، فلشدة كرمها أنها تكرم دون علم رجلها، ولشده بخله هو أنه يطلقها فقط لهذا التصرف، وفي هذا جاء مثل مفاده: **شاف الضيفة طلق مولاة الدار.**

4.أهمية الأمثل والحكم:

للمثل والحكمة أهمية عظيمة في تقويم سلوك المرء، فهو يعد خلاصة التجربة البشرية، وإن كان موجز الكلام، كما أنه سهل الحفظ والتداول، وفوق هذا يتقبله كل من قيل في حقه حتى وإن جرح مشاعره، وسبب هذا القبول وعدم الاعتراض يكمن في حقيقة المثل الذي يصدر عادة من نفس صافية خالية من الشرور، والأحقاد هدفها فقط هو نقل تجربتها للأجيال لتكون حاضرة بينهم وقت غيابها، ولهما وظائف عديدة منها:

وظيفة اجتماعية: فأغلب الحكم والأمثال تحمل بين طياتها أهداف اجتماعية تربوية، فقائلهما يهدف إلى نقل تجربته للأجيال لتأمرهم وتحذرهم في نفس الوقت.

وظيفة ترفيهية: يحمل المثل بعد تربوي لكنه في عبارته قد يتضمن بعض الكلمات التي توحي بالسخرية والتهكم، وهذا ليسهل تقبله من الغير، وتخفيف وقعه على النفس الخاطئة، فمثلا عند محاولة إسكات من لا يسكت، ويكثر من الثرثرة التافهة، يقولون في حقه مثلا يقبله هو ويزجره عن فعله المشين، ومما جاء فيه:

الفم المحلول يدخلو الدبانْ، وهذه الأمثال تقال للترفيه عن النفس وإبعاد الملل والسأم، وهي تقال بين الأصدقاء خلال الحوار في المجالس الشعبية، وبين أفراد العائلة أثناء السمر، أو عند التأديب.

5.توصيات واقتراحات: بعد هذه الدراسة التي قمنا بها عن التراث الشعبي بمنطقة توات توصلنا إلى عدد من التوصيات والاقتراحات:

-وجوب الاعتناء بالتراث الشعبي بمنطقة توات خاصة وأن الكتابات في المنطقة بهذا الخصوص قليلة إن لم نقل نادرة.

-أنشأ فرق بحث لجمع التراث اللامادي وتدوينه ونقله من أفواه الرواة، ليتمكن الأجيال من التعرف عليه، ليستمدوا منه تجارب الآباء والأجداد.

-التعريف بالعديد من عناصر التراث اللامادي بالمنطقة ليتم تدوينها في منظمة الأمم المتحدة للثقافة والعلوم، لتصبح من التراث العالمي خاصة وأنا المنطقة لها أمثلة عديدة تم تسجيلها في التراث العالمي ومنها: أهليل، والسبيبة.

-تذليل الصعاب أمام الباحثين المهتمين بالتراث اللامادي، ومساعدتهم ماديا ومعنويا.

-وضع أطلس للتراث اللامادي في المنطقة، يسجل مختلف عناصره من أكل، وشرب، ولباس، وألعاب، وأمثال، وحكم.

خاتمة:

نصل في أخر هذه الدراسة المتواضعة إلى أن المرأة كانت لها مكانة كبيرة بين أفراد المجتمع في منطقة توات، فلم يكن ينظر إليها على أنها أقل قيمة من الرجال، وإنما على أساس أن مسؤوليتها تختلف عن مسؤوليته، وقدرتها تختلف عن قدرته، كما أن لها جوانب تميزها عن الرجال كالصبر وقوة التحمل، وحدة البديهة والذكاء، وهذا ما جعلها في كثير من الأحيان مضرب للكثير من الأمثال والحكم، وهذا إما إشارة لقوة ذكائها، أو قوة صبرها وتحملها، أو تلميح لبعض مواقفها السيئة كالمكر والغد، والحقد والحسد، وغيرها من الصفات المشينة التي فُطر عليها الإنسان، ودعاها الله إلى التخلص منها بتزكية نفسه وإرغامها على صالح الأعمال.

قائمة المراجع:

1.الإدريسي عبد الله حمادي(2011)، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي وتصديه للخطر اليهودي بصحراء توات والصقع السوداني، ط1، ابتكار للنشر والتوزيع، الجزائر.

2.الميداني أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري(دس)، مجمع الأمثال، منشورات دار المكتبة، بيروت لبنان.

3-أمين احمد مصطفى عفت وآخرون(2001)، الموسوعة العربية الميسرة، ط2، دار الجيل بيروت.

4.أمين أحمد (1953)، قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية، مؤسسة هنداوي، القاهرة.

5-ابن بطوطة(2001)، تحفة النظار في غرائب الأمصار، ط1، دار صادر، بيروت لبنان.

6.براندو مصطفى(2001/2000)، الأمثال الشعبية في منطقة مسيردة، جمع ودراسة، رسالة ماجستير، الأدب الشعبي، قسم الثقافة الشعبية، كلية العلوم الإنسانية، جامعة تلمسان، الجزائر.
7.رشدي صالح أحمد(1961)، فنون الأدب الشعبي، دار القلم، القاهرة.
8.بوعزيز يحي(دس)، تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية -16-20م، دار هومة، الجزائر.
9.ابن خلدون عبد الرحمن(2000)، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأعظم، تح سهيل ذكار و خليل شحاذة، دار الفكر، بيروت.
10.أبو سالم العياشي(2006)، الرحلة العياشية، تح سعيد الفاضلي، وسليمان القرشي، ط1، دار السويدي، أبو ظبي.
11.عبد المنعم سيد عبد العال(1968)، لهجة شمال لمغرب(تطوان وما حولها)، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة.
12.فرشوخ محمد أمين(1989)، موسوعة عباقرة الإسلام، دار الفكر، بيروت.
13.ابن عبد ربه أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي، العقد الفريد، كتاب الجوهر في الأمثال، تح14، أحمد أمين، وأحمد الزين، وآخرون، دار الكتاب العربي، بيروت.